القدرة اللغوية والأبعاد التداولية
دراسة تطبيقية على خطابات
دكتور طارق الحبيب
المنطوقة والمكتوبة

د. إيمان شريف زكي سليمان
أستاذ العلوم اللغوية المساعد
كلية العلوم والآداب بعنيزة
جامعة القصيم

القدرة اللغوية والأبعاد التداولية دراسة تطبيقية على خطابات دكتور طارق الحبيب المنطوقة والمكتوبة.

إيمان شريف زكي سليمان.
أستاذ العلوم اللغوية المساعد - كلية العلوم والآداب بعنيزة - جامعة القصيم- المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: eman197345@gmail.com

ملخص البحث: يأتي البحث في مجال علم اللسانيات المعاصرة وخاصة بفرعها المسمى باللسانيات التداولية، في نظريتي أفعال الكلام والتلفظ، ويقوم البحث على ربطها بمسمى " القدرة اللغوية " في العربية الفصحى في مجال تطبيقي في الفضائيات العربية ،واتخذ البحث الدكتور طارق الحبيب أنموذجا له، والمنهج الوصفي التحليلي طريقا ، وينهض البحث على تمهيد ومبحثين:
التمهيد: وفيه إيضاح معنى "القدرة اللغوية" و" التداولية" لغة واصطلاحا.
المبحث الأول: القدرة اللغوية وعلاقتها باللسانيات التداولية.
المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية على بعض حلقات الدكتور طارق الحبيب في الفضائيات العربية. ثم الخاتمة وأوضحت فيها النتائج التي توصلت إليها .
ففي التمهيد تناولت فيه معنى القدرة اللغوية ، لغة في المعاجم القديمة وحاولت البحث في المعاجم الخاصة بالمصطلحات اللغوية حديثا .
أما اصطلاحا فقد حاول البحث وضع معيار لما يسمى بالقدرة اللغوية في المفهوم العربي الأصيل ، والتي لها معنى أشمل مما عند تشومسكي في اللسانيات التوليدية التحولية .وأعمق مما عند بنفست وجورج ويل وغيرهم.
ثم عرج البحث على معنى "التداولية " لغة واصطلاحا ، وفي مفهومها الاصطلاحي مازالت تتحثى الخطى في مجال الدراسات العربية ولدى الدارسين العرب .
ويأتي المبحث الأول في دراسة القدرة اللغوية وعلاقتها باللسانيات التداولية، والتفصيل في توضيح القدرة اللغوية في الناحية الصوتية والصرفية والنحوية ،

وقد أرجأت النا حية الدلالية لموضوع آخر لإفرادها بالدراسة حيث تضمن المعاجم والظواهر اللغوية من مشترك وأضداد وترادف وغيره ؛ لذا رأيت أن تكون في بحث مستقل .

والمبحث الثاني جاء بالدراسة التطبيقية على بعض حلقات الدكتور طارق الحبيب في الفضائيات العربية.

وتم اختيار الدكتور طارق لاستخدامه العربية الفصحى من جهة ،ومن جهة أخرى إلى إظهار استعمال الفصحى لغير المتخصصين بها ، ليكون البحث أكثر منطقية في إظهار الفصحى ومدى قدرتها عند الفرد وتأثيرها لدى المتلقى أو السامع.

وجاءت الخاتمة لتبين ما وصل إليه البحث من نتائج .

الكلمات المفتاحية: القدرة اللغوية– التداولية – نظرية أفعال الكلام – نظرية التلفظ – طارق الحبيب .

Contemporary linguistics and Pragmatics aspects on Arabic satellite channels (applies study) Dr. Tarek Al-Habeb model

Iman Sherif Zaki Suleiman.
Assistant Professor of Linguistics - College of Science and Arts in Onaiza - Qassim University - Kingdom of Saudi Arabia.
E-mail: eman197345@gmail.com

Abstract: The research comes in the field of contemporary linguistics, especially its branch called Pragmatics linguistics, and in two Theories: Speech Act and Pronouncement. The research ties it with "Linguistic competence" in Classical Arabic in applied field at Arabic satellite channels. DR Tarek Al-Habeb took this research as a model. He depended on descriptive and analytical approach. The research has been divided into:

Introduction: It includes the meaning of Linguistic competence and Pragmatics in linguistic and General consent meaning.

First chapter: Linguistic competence and its relationship to Pragmatics linguistics.

Second Chapter: The applied study on some of Dr. Tarek Al-Habeb episodes on Arabic satellite channels.

Then Conclusion and I have explained the findings.

In Introduction, I have discussed the linguistic meaning of Linguistic competence in an old dictionaries and I tried to search in specific Lexicons on linguistic terms recently.

In the context meaning, the research tried to set a standard for Linguistic competence in the original Arabic concept, which has more comprehensive meaning than Chomsky in transformative pragmatics linguistics and deeper than that of Benvest and George Will and others.

Then the research returned to the linguistic and context meaning of “Pragmatics”. In its context concept, it still begins in Arabic studies and among Arab scholars.

The first chapter discussed Linguistic competence and its relationship to Pragmatics linguistics and Linguistic competence in terms of phoneme, morphological and grammatical in details. I delayed semantic aspect to another subject to study it alone, as it included Lexicons and linguistic phenomena from conditions, opposites, synonyms and so on, so I thought that it should be in another research.

The second chapter covered the applied study on some of Dr. Tarek Al-Habeb episodes on Arabic satellite channels.

Dr. Tariq was chosen to use classical Arabic on the one hand and on the other hand to show classical Arabic to non-specialists, So that the research become more logical in showing classical Arabic and its ability on the individual and its impact on the receiver or the listener.

finally, the conclusion clarified the re sults of the research.

Key words: linguistic ability - deliberative - speech action theory - articulation theory - Tariq Al-Habib.

مُقَدِّمَة

الحمد لله فالق الإصباح خالق الأرواح ، رازق العباد ومدبر أحوال البلاد، رافع السماء ،الأول دون ابتداء والأخر دون انتهاء ، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير وهادي لكل بر وعلى آله وصحبه الكرام الأخيار.

ثم أما بعد

فما أشرف العربية وأجلّها بين اللغات الإنسانية، لما تحمله من قوة ذاتية استمدتها من كتاب الله الذي أُنزل بها، وبعدها تجلت في كافة العلوم ومناحى الحياة؛ لما لها من سبك النظم وقوة اللفظ ودقة المعنى وحلاوة الإلقاء.

وبناء على أهمية التداولية بوصفها فرعا من فروع اللسانيات الجديدة وتهافت الدارسين العرب لها فقد أردت ركوب مطيتها في مبدأين فقط منها ، هما : أفعال الكلام و التلفظية وأرجأت المبادئ الأخرى كالاستلزام الحواري والحجاج والتعاون لبحث آخر –إن شاء الله–.

وكان من أسباب اختياري أيضا لهذا الموضوع هو محاولة الكشف عن التقارب بين التداولية وقدرة العربية في الاستعمال على المستوى الفصيح للغة في الفضائيات العربية.

وتكمن أهمية البحث في أنه يطمح إلى دراسة القدرة اللغوية وتتبع أبعادها في الاستعمال اللغوي لدى الأفراد ، وكذلك تتبع بعض الأبعاد التداولية في العربية الفصحى لنرى أيهما أعمق في تناول اللغة ودراستها.

والمنهج الذي اعتمد عليه البحث هو المنهج الوصفي التحليلي من خلال دراسة تطبيقية على نموذج لشخصية علمية في مجال الطب النفسي استخدمت العربية الفصحى في حوارتها العامة من خلال وسائل الإعلام واللقاءات المختلفة ولم يكن دارسا للعربية أو متخصصا فيها بل تربى عليها وشربها، لأخلص من هذا بأن العربية الفصحى رغم ما تواجه من تحديات فهي قادرة بما تحمله من قدرة ذاتية داخلية فيها على الوقوف أمام هذه التيارات

الهدامة لها، هي فقط تنتظر منا السماح لها بالظهور ،فإن ظهرت انتشرت وعمت.

وقد جاء البحث على تمهيد ومبحثين:

التمهيد: وفيه إيضاح معنى "القدرة اللغوية" و" التداولية" لغة واصطلاحا.

المبحث الأول: القدرة اللغوية وعلاقتها باللسانيات التداولية.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية على بعض حلقات الدكتور طارق الحبيب في الفضائيات العربية.

ثم الخاتمة وأوضحت فيها النتائج التي توصلت إليها .

التمهيد

تعريف القدرة اللغوية

في اللغة:

"القدرة" ورد في لسان العرب في مادة (قدر): "والقَدْر والقُدْرة والمقدار: القوة . والاقتدار على الشيء القدرة عليه، والقُدْرة مصدر قولك قدر على الشيء قُدْرة أي ملكه فهو قادر وقدير وقدرك شيء ومقداره مقياسه ...قال الأخفش :" (على الموسع قدره) أي طاقته وقدر كل شيء ومقداره مبلغه. [(١)]"

فالقدرة يدور معناها المعجمي حول القوة والطاقة والمقياس .

أما "اللغة " في المعجم فهي : " اللسن وحدّها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وهي فُعْلة من لغوت ، أي تكلمت أصلها لُغوة ككُرة وقُلة وثُبه ، كلها لاماتها واوات ....والنسبة إليها لُغوي ولا تقل لَغوي[(٢)]."

ويرى الدكتور حسن ظاظا أن "لغة" لم ترد مستعملة في كلام العرب الخلص وكانوا يستعملون في كلامهم "لسان" للدلالة على اللغة ويرجع أصلها إلى اليونان وهو كلمة logos التي معناها الأصلي : كلمة أو كلام[(٣)]."

في الاصطلاح:

يأتي مفهوم " القدرة " اليوم ليشغل بال العديد من التخصصات ، فقد شغل بال علماء الفيزياء والنفس والتربية، ويعدّ مجالا خصبا في النظريات التربوية الحديثة؛ فتكلموا في القدرة عن قوانين الكفاءة والكفاية والمهارة والجدارة وكل

---

(١) ينظر لسان العرب ٦مادة (قدر) ٥/ ٣٥٤٦: ٣٥٤٨، وقد وردت اللفظة بفتح القاف في المعجم المفصل في اللغة والأدب ١/ ٩٧٦مادة (قَدْر).

(٢) ينظر مادة "لغا" في لسان العرب ٦/ ٤٠٥٠.

(٣) ينظر اللسان والإنسان ١٣٠: ١٣٢.وقسمها الدكتور مشتاق عباس معن على ثلاثة أنواع " اللغة الأولى ... واللغة الثانية... واللغة الثالثة" ينظر المعجم المفصل في فقه اللغة باب اللام ص ١٤٩.وينظر في تعريفها معجم علوم العربية للدكتور محمد التونجي ص ٣٦٤

هذه الألفاظ تحمل لديهم سلوكا واستعمالا للمعارف وإنجازا للمهام وتعرف القدرة عند التربويين على أنها :" الحالة التي يكون فيها الفرد متمكنا من النجاح في إنجاز معين، كالقدرة على التحليل والتركيب والمقارنة والتوليف ، كما أن القدرة لا تتمظهر إلا من خلال تطبيقها على محتوى. (١)"

أما في حقل الدراسات اللغوية فيرى البعض أن مفهوم "القدرة" أو المقدرة اللغوية تساوي "الكفاية اللغوية" لدى تشومسكي فدراسة اللغة تقتضي بطبيعة الحال " دراسة القواعد التي تتيح للإنسان تكلم اللغة وتفهم جملها والذي هو كائن في تقديرنا ، ضمن مقدرته على استعمال اللغة بصورة إبداعية ومتجددة . في إطار النظرية الألسنية التوليدية والتحويلية ، تسمى المقدرة على إنتاج الجمل وتفهمها ، في عملية تكلم اللغة ، بالكفاية اللغوية ، ونميز بين الكفاية اللغوية وبين ما نسميه بالأداء الكلامي ، فالكفاية اللغوية هي المعرفة الضمنية باللغة في حين أن الأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين.(٢)"

غير أن هذا المفهوم للقدرة اللغوية من الناحية التوليدية التحويلية يظل ناقصا؛ لأنه لا ينظر إلى جانب "الإنجاز"الذي نظرت إليه التداولية وأولته عنايتها منذ ولادتها من رحم السيميائين واعتمدت على (التواصل) في اللغة عند جورج ويل " دراسة المعنى التواصلي أو معنى المرسل في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز ما قاله. (٣)"

---

(١) ينظر مقال د/ عبد الله أحمد حسن على شبكة الألوكة بتاريخ ٢٠١٦/٥/٣م – ١٤٣٧/٨/٢٢هـ.

(٢) ينظر الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) د/ ميشيل زكريا ص ٧، وبحثت في معجم المفصل في اللغة والأدب للدكتور إميل يعقوب وميشيل عاصي فلم أجده ، ومعجم العلوم العربية للدكتور محمد التونجي في "حرف القاف " لم أعثر عليه أيضا.

(٣) ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية عبد الهادي بن ظافر ص ٢٢.

وعلى هذا فالتداولية تنظر إلى اللغة على أنها " دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم:" [(١)]. فقد أهمل التوزيعيون المعنى والذي انطلق أصحابه وعلى رأسهم بلومفيلد من مفهوم البنية لدى دوسوسير رغم اعترافهم بأهميته في الدرس اللغوي.

وانطلاقا من المفهوم المعجمي العربي لكلمة "القدرة " يمكن أن أقول: **إنها القوة والطاقة المستمدة من قواعد اللغة ومقاييسها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، لدى مستعمل اللغة ؛ لإحداث جودة في إنتاجيّة الكلام ؛ لتحقيق التواصل البنّاء لدى أفراد هذه اللغة.**

إن مفهوم القدرة اللغوية يعتمد على الإنتاجية بنوعيها الشكل والمضمون، فالشكل المتمثل في الصوت والصرف والتراكيب، والمضمون المتمثل في الدلالة أو المعنى .

وإنتاجية المضمون أو المعنى تعتمد في العربية على أساس أخلاقي فرضته قواعد الدين والعرف الاجتماعي ، فالمعجميون مثلا قد فروا من تفسير المعاني المستقبحة عمدا، ونظروا إلى ما يسمو بالروح والعقل تاركين الرذيل والفاحش من اللفظ معتمدين على ذكاء القارئ.

إن اللغات البشرية منها ما مات ومنها ما زال حيا فطاقة اللغات الميتة لم تمكنها من البقاء عكس الحية ؛ لذا اختلفت اللغات فيما يسمى بالقدرة المعتمدة على طاقتها في مستوياتها الأربعة.

فالقدرة الصوتية تمكن اللغة من إنتاجية عدد لا نهائي من الكلمات من خلال أصواتها التركيبية وأداء متنوع من خلال أصواتها فوق التركيبية.

وقدرتها الصرفية تمكنها من الحفاظ على أبنيتها الاسمية والفعلية –حفظ شكلي ودلالي – لتتناسق اللغة وتتناغم مع مناحي الحياة المختلفة.

(١) ينظر التداولية لجورج ويل ص ١٩.

وقدرتها النحوية تمكنها من الحفاظ على معانيها الوظيفية من فاعلية ومفعولية إلى آخره من خلال مواقع الإعراب المختلفة لتظل الجملة في منأى عن التغييرالذي يضر بتركيبها الموروث والذي يميزها عن غيرها.

وقدرتها الدلالية تمكنها من استيعاب أوتحميل أواختراع لكل معنى طارئ عليها. ويساعدها في ذلك المعجم.

تعريف التداولية

في اللغة:

يدور معنى مادة "دول " على عدة معان منها الفعل والغلبة والانتقال من حال إلى حال ، جاء في لسان العرب مادة (دول) :" الدَّولَة والدُّولَة : العقبة في المال والحرب سواء ، وقيل : الدُّولة ، بالضم ، في المال ، والدَّولة، بالفتح، في الحرب ...وقال الزجاج الدُّولة اسم الشيء الذي يتداول ، والدَّولة الفعل والانتقال من حال إلى حال ....الليث : الدَّولة والدُّولة لغتان ، ومنه الإدالة الغلبة . وأدالنا الله من عدونا : من الدَّولة، يقال: اللهم أدِلْني على فلان وانصرني عليه...ودالت الأيام أي دارت ، والله يداولها بين الناس . وتداولته الأيدي : أخذته هذه مرة وهذه مرة. [1]"

في الاصطلاح:

"تعود كلمة التداولية في أصلها الأجنبي pragmatique إلى الكلمة اللاتينية pragmaticus والتي يعود استعمالها إلى عام ١٤٤٠م ، ومبناها على الجذر (pragma) ومعناه الفعل (action)[2]"

ويرى البعض أن أقدم تعريف للتداولية كان على يد الفيلسوف "تشارلز موريس" ١٩٣٨ والذي رأى أنها" جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات

(١) ينظر لسان العرب (دول) ٢ / ١٤٥٥ : ١٤٥٦. وينظر العين للخليل ٢/ ٦٠ والقاموس المحيط ١٠٠٠.

(٢) ينظر الوظائف التداولية في خطابات ابن باديس ص ١٣.

ومستعملي هذه العلامات، وهذا تعريف واسع يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي، والمجال الإنساني إلى الحيواني والآلي. (١)"

وهي عند جورج يول " دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم أو هي دراسة المعنى السياقي أو هي دراسة كيفية إيصال أكثر من معنى. (٢)"

ونظرت التداولية إلى الناحية التخاطبية والتواصلية والاجتماعية في اللغة ؛ فكان من تعريفها " هي دراسة اللغة في الاستعمال أوفي التواصل. (٣)"

مما جعل مسعود صحراوي يقرر أن التداولية " ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي....ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويدمج من ثَمَّ ، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره. (٤)"

وفي أطروحته للدكتوراه يرى محمد الأخضر الصبيحي أن التداولية" أحد أهم المناهج اللغوية الحديثة التي صححت مسار علم اللغة الحديث ...وهي نتاج تحول منهجي غايته إضفاء نظرة أكثر شمولية على اللغة. (٥)"

فالتداولية لدينا في الوطن العربي من ينظر إليها على أنها مكملة للدراسات اللغوية وليست علما لغويا محضا، تتداخل مع علوم أخرى مثل الفلسفة وعلم النفس والاجتماع، ومنهم من رأى أنها تدخل في صلب المناهج اللغوية وأكملت القصور الذي اعترى المناهج الأخرى مثل البنيوية والتوليدية التحويلية. إلا أن الثابت في التداولية هو " إشراك البشر في عملية التحليل ، تمتاز عملية دراسة اللغة من خلال التداولية بأنها تمكننا من التحدث عن المعاني

---

(١) ينظر المدارس اللسانية المعاصرة ص ١٦٦. دكتور نعمان أبو قرة.

(٢) ينظر التداولية لجورج يول ص ١٩.

(٣) ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ١٤.د. محمود أحمد نحلة.

(٤) ينظر التداولية عند العلماء العرب ،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية ص ١٦.

(٥) ينظر بحث في المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي ص ٩١، جامعة قسنطينة ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.موقع archives.umc.edu.dz

التي يقصدها الناس وعن افتراضاتهم وأهدافهم وما يصبون إليه وأنواع الأفعال التي يؤدونها أثناء تكلمهم ...أما العائق الكبير فيكمن في الصعوبة البالغة التي تبرز عند تحليل جميع هذه المفاهيم الإنسانية البحتة ذاتها بطريقة متسقة وموضوعية. (١)"

(١) ينظر التداولية لجورج يول ص ٢٠.

المبحث الأول

القدرة اللغوية وعلاقتها باللسانيات التداولية

الدارس للتداولية يجد أنها تفتقت عن ثلاث نظريات أساسية ،الأولى ما تسمى بأفعال الكلام، ورائدها أوستن وسيرل ونظرية التلفظ–وتسمى –تداوليات الحديث– ورائدها بنفست، ونظرية تداوليات الحوار ورائدها ميخائيل باختينوبوجريس وفرانسيس جاك.

وتهافت الباحثون العرب عليها وقدموا أطروحات لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه وحاولوا ربط آراء مؤسسيها بالعلماء العرب أمثال الخليل وعبد القاهر الجرجاني وابن جني وتطبيقها على سور من القرآن الكريم وبعض خطب الساسة وعلماء الدين.

واعتمدت التداولية على ما يسمى بـ (الإنجاز) من جانب المتكلم الذي أهمله البنيويون أصحاب دي سوسير ولم يركز عليه التوليديون الذين اعتنوا بالبنية السطحية والعميقة للغة .

إن نظرية أفعال الكلام –على سبيل المثال–هي جزء من الرسالة اللغوية التي وعاها القدماء من علمائنا وتخطى مقياسهم مقياس أصحاب التداولية في مجرد الإنجاز إلى جعلهم مقياس التلطف والملائمة لما ينجزه المتكلم هو جوهر اللغة وقد جعلها ابن جني صريحة حينما قال :" فالتأني والتلطف في جميع هذه الأشياء وضمها وملاءمة ذات بينها هي خاص للغة وسرها ، وطلاوتها الرائعة وجوهرها. (١)"

إن مبدأ **(الحسن)** قامت عليه الدراسات العربية القديمة ،وقد انطلق في الأساس من مبدأ ديني عقائدي لديهم فكان هو المحرك لهم ؛ فسار المنهج المعياري مع المنهج الوصفي لديهم.

(١) ينظر الخصائص ٢/ ١٢٥.

ووقع هذا المبدأ على شكل اللغة ومضمونها ،فمثلا الجملة الخبرية هي ما تحتمل الصدق أو الكذب وهذا مبدأ أخلاقي بالأساس كان جانب (الحسن) واضحا فيه وهو (الصدق).

إن علماءنا اعتنوا بالأثر الذي يحدثه فعل الكلام مع عنايتهم بكيفية هذا الأداء قال ابن جني: "فميز رديئه وزائفه فنفاه البتة كما نفوا عنهم تركيب ما قبح تأليفه ثم ضرب بيده إلى ما أخف له من عرض جيده، فتناوله للحاجة إليه.(١)"

إن قدرة المتكلم تأتي من قدرة اللغة بالأساس هو يستعملها ويوظفها فيأتي إنجازه وفقا لما تقرره اللغة .

ولنأخذ على سبيل المثال القدرة اللغوية الشكلية المنجزة المتمثلة في الصوت والصرف والتراكيب :

أولا -المستوى الصوتي:

إن ما يسمى بالأصوات فوق التركيبية أو التطريزية لها قوة وطاقة إنجازية ؛لما تعتمد عليه من اختلاف طرائق الأداء "فإن الأصوات فوق التركيبية تتوالى بشكل يختلف باختلاف المقام والموقف، فمرة يستدعي الموقف الإسراع في الكلام وأخرى يتطلب الإبطاء، ومرة تطيل الصوت عن معتاد زمن نطقه، وأخرى تقصره وثالثة تنطقه بصورة طبيعية، وبعض الكلمات أو المقاطع أو الأصوات تضغط عليها في النطق لتلفت النظر إليها وتفصح عن أهميتها بينما يتخلى غيرها عن هذا الضغط. (٢)"

ولعل اختلاف معاني بعض الأدوات النحوية مثل (ما وكيف ومتى وأين ومن) يعود إلى طريقة أدائها الصوتي .

إن **النبر** بنوعيه الكلمي والجملي يؤدي إنجازا كلاميًّا عبر السياق ؛ ليفيد مجموعة من المعاني مثل التحذير والتهديد والتأكيد والوعيد ، وهذا ما أسماه

(١) المصدر السابق ١/ ٦٤: ٦٥.

(٢) ينظر الأصوات اللغوية والأداء القرآني د. عيد الطيب ص ١٢٩.

الدكتور تمام حسان بالنبر الدلالي فقال:" ومن هنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن النبر في الكلمات العربية موقعية تشكيلية وصرفية في نفس الوقت ،أما في الأنساق الكبرى (أو السياقات أو بعبارة أخرى ، الجمل والمجموعات الكلامية) ،فيقع ترتيب النبر على غير المقتضيات الصرفية البحتة ، بل لا يرتبط وإن وافقها في الظاهر . هذا النبر الذي في السياق إنما يكون من وظيفة المعنى ، أي أنه نبر دلالي. [١]"

ويرى أن النبر الدلالي يمكن وصفه على عكس نبر الصيغة بأنه إما أن يكون تأكيديًّا وإما أن يكون تقريريًّا[٢].وهذا بعض ما تقوله التداولية الآن.

و**التنغيم** كذلك بنوعيه الكلمي والجملي يؤدي منجزا كلاميًّا من خلال نغمة الصعود أو الهبوط المعتمدة على حالة المتكلم النفسية، وهو يقع تحت عنوان المعبّرات expressive عند جورج ويل قال: "هي أفعال الكلام تلك التي تبين ما يشعر به المتكلم فهي تعبر عن حالات نفسية، ويمكن لها أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن أو عما هو محبوب أو ممقوت .. باستعمال المعبر يجعل المتكلم الكلمات تلائم العالم (عالم المحسوسات). [٣]"

ويقسمه الدكتور تمام حسان ثلاثة أشكال: الإيجابي والنسبي والسلبي "والفرق بين الثلاثة فرق في علو الصوت ، فالإيجابي أعلاها والسلبي أخفضها وبينهما النسبي"[٤] فيرى–على سبيل المثال أن النموذج الإيجابي الهابط يستعمل في تأكيد الإثبات و للإثبات غير المؤكد يستعمل النسبي الهابط ومن ذلك التحية والكلام التام وتفصيل المعدودات والنداء ، ويستعمل السلبي الهابط في تعبيرات التسليم بالأمر نحو لا حول ولا قوة إلا بالله وعبارات الأسف والتحسر أما

(١) ينظر مناهج البحث في اللغة ص ١٩٥.
(٢) ينظر المصدر السابق ١٩٧.
(٣) ينظر التداولية ص ٨٩.
(٤) ينظر مناهج البحث في اللغة ص ٢٠٣.

الإيجاب الصاعد فيكون في الاستفهام بهل أو الهمزة والسلبي الصاعد فيستعمل في التمني أو العتاب .

و**التزمين** كأحد أنواع الأصوات فوق التركيبية يؤدي إنجازا لغويا عن طريق الزمن طولا أو قصرا، وهو يعود في الأساس إلى أسباب نفسية يخضع لها المتكلم ومواقف متعددة "فالسرعة التي يؤدي بها الإنسان حديثه وهو في القطار آخذا في التحرك مع آخر يقف على رصيف المحطة تختلف عن السرعة التي يؤدي بها الكلام وهو جالس في بيته مع أفراد أسرته ، والسرعة التي يؤدي بها حديثه وهو في موقف سارٍ غير السرعة التي يؤدي بها حديثه وهو في موقف حزين ...." (١)

والتزمين بهذا المفهوم يخضع لعوامل غير لغوية مرتبطة بالسياق وحالة المتكلم النفسية وهو عين ما جاءت به نظرية التلفظ عند التداوليين فـ"قد أعادت نظرية التلفظ /الحديث الاعتبار للعوامل غير اللغوية أو السياق مما وسع من مجال التحليل ، عوامل تعد مهمة في فهم أسباب إنتاج النصوص (الأقوال) وشروطه." (٢)

فهو كأحد أنواع الأصوات فوق التركيبية مرتبط أشد الارتباط بنظرية التلفظ؛لأن من وظائفه بيان المعاني والأفكار المهمة .وله دور بلاغي "حيث يكون في تحقيق المطابقة بين الحال ومقتضاه والموقف وما يناسبه، والمقام وما يتطلبه."(٣).

ثانيا -المستوى الصرفي:

تتجلى طاقة العربية واضحة فيما يسمى بالصيغ الصرفية ومدلولاتها، إن ما نظنه قالبا شكليا للأوزان ما هو إلا قدرة على إنجاز المعنى، ففي الفعل الوظيفي (قِ) و(عِ) طاقة منجِزة عن طريق صيغة صرفية مكونة –شكلا–من

(١) ينظر الأصوات اللغوية والأداء القرآني ص ١٧٠.
(٢) ينظر لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ص ١١: ١٢.
(٣) ينظر الأصوات اللغوية والأداء القرآني ص ١٧٤.

حرف واحد وهو عبقرية واضحة للغتنا العربية في ناحيتها الصرفية ، وليس كما قال جورج ويل : " لا ينجز المتكلمون أفعالهم الكلامية بهذا الوضوح دائما ولكنهم في بعض الأحيان يضيفون فعل الكلام قيد الإنجاز"(١).

ويرى الدكتور تمام حسان أن " اللغة العربية محظوظة جدا بوجود هذه الصيغ الصرفية؛ لأن الصيغ تصلح لأن تستخدم أداة من أدوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق، ويشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الأساس الذي يمكن أن يحدد الكلمات ...فأما اتخاذ الصيغة الصرفية أداة من أدوات خلق الحدود بين الكلمات في السياق ، فميزة للغة العربية من كبريات ميزاتها التي تفاخر بها." (٢)

وإذا كان هناك بعض الصيغ في العربية يحمل أكثر من معنى كـ "فعْل" مثلا فتأتي صفة مشبهة أو مصدر، فيكون هنا التعاون مع السياق لإزالة هذا الغموض وهوالوسيلة الأخيرة كما يراها الدكتور تمام حسان، ويرى أن الصيغة نفسها تساعد على تحديد الباب "وذلك لأن معناها الوظيفي هو المورفيم، والمورفيم نفسه تعبير عن الباب ، فكأن الباب أحد معاني الصيغة غير المباشرة." (٣)

وهذا ما يدعوني إلى القول بأن البنية أو الصيغة الصرفية لها أهمية خاصة في بناء سياقات النص يعلمها التداوليون، مما جعل فان ديك في كتابه "النص والسياق "يركز على فكرة "الفعل" Action حينما رأى سلطة البنية أو المكونات اللغوية بشكل عام على النص، وكما قال الدكتور عبد السلام المسدي: "فالنص تركيب وأداء أو هو لفظ وتلفظ واستقبال"(٤).

(١) ينظر التداولية لجورج يول ص ٨٣.

(٢) ينظر مناهج البحث في اللغة ص ٢١٠.

(٣) المصدر السابق ص ٢١٠: ٢١١.

(٤) ينظر قضية البنيوية دراسة ونماذج ص ٥٢ الدكتور عبد السلام المسدي.

إن اعتناء علماء العربية القدامى ودراستهم ببيان حركة البنية أو الصيغة لدليل على شعورهم بالطاقة التي تكمن في العربية فالدلالة المنجَزة لـ "مُسْتخرَج" غير "مُسْتخرِج" و"قُعُول" غير "فَعُول" و"مَفْعَل" غير "مَفْعِل"(١)

إن قدرة العربية تفوق ما قدمه التداوليون في نظرياتهم الثلاث ؛ لأن الغربيين حينما طبقوا كلامهم في التداولية طبقوه على لغتهم، فالعربية في التذكير والتأنيث – على سبيل المثال– أثبتت تفوقها على معظم اللغات الحية ومنها الإنجليزية والفرنسية والألمانية "فعند فحص مسألة تأنيث الأفعال وتذكيرها، فإن اللغة العربية هي الوحيدة من بين هذه اللغات التي تمتاز بذلك ، فتقول مثلا يأكل الرجل وتأكل المرأة ... واللغات الثلاث: الإنجليزية والفرنسية والألمانية لا تقوم بتذكير ولا تأنيث الأفعال . وبعبارة أخرى، فالأفعال تبقى محايدة في كل الأحوال والأوقات في هذه اللغات ..." (٢)

ثالثا – المستوى النحوي:

جاء النحو العربي تقعيدا لما يتكلم به العربي القديم، فقد صاغ النحاة قواعد من خلال واقع اللغة مما سمعوه من أهل البادية والحاضرة وأقره أهل العلم الموثوق بهم.

ومن هنا نظر النحاة إلى اللغة على أنها قوانين عامة للأفراد، وكان حق اللغة عليهم أن يستعملوها بشكلها الصحيح ليستقيم المعنى .

---

(١) ينظر بشيء من التفصيل في بحث " الحركة وأهميتها في دلالة البنية الصرفية ،دراسة على وفق الاستعمال اللغوي " مقدم من د. خديجة زياد الحمداني لمجلة جامعة كركوك عدد خاص بمؤتمر كلية التربية ٢٠١٢م.

(٢) ينظر أسباب تفوق لغة الضاد على اللغات الحية في الدقة التعبيرية ووفرة المعلومات في التعريف بجنسي الذكر والأنثى ص ٢١د. محمود الذوادي ، بحث منشور في مجلة التعريب الصادرة عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق العدد الرابع ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

وإذا كانت التداولية تنظر إلى دراسة اللغة في الاستعمال مما يعني "الانتقال من دراسة اللغة في نظامها الافتراضي إلى دراستها في تجليها الطبيعي، حيث يستعملها الناس إنتاجا وتلقيا في موقف ما من أجل التواصل والتفاعل"(١)

فلن يكون ذلك إلا بسلامة التركيب الذي يشكل هيكل النص " إذ إن التداولية الصحيحة هي في الأساس مستمدة من تركيب صحيح يعبر عن دلالة محددة"(٢).

"ويُعَدُّ وجود العلاقات النحوية بما تتضمنه من مبادئ حاكمة ؛كالحذف والذكر والتقديم والتأخير محورا أساسيا في إزالة الغموض واللبس من النص؛ إذ أن العلاقات النحوية تمثل هيكل النص الذي تُصَبُ فيه المفردات مع مراعاة مبدأ الاختيار والذي يعقبه تفاعل بين ما هو ثابت وما هو متغير." (٣)

لذا كان من الخطأ الواضح ما قاله بعض التداوليين أمثال " فولفجانجهاينه" الذي لم يعتمد على الجانب النحوي في فهم النص واعتمد على ما يسمى بالممارسات الاتصالية العملية في تأسيس النص، فقال:" لم يعد النص نفسه وبناؤه النحوي أو الدلالي الآن نقطة ارتكاز في دراسات علم اللغة النصي؛ بل الممارسات الاتصالية العملية التي تؤسس النص ؛ حيث تكون هذه بالطبع ... قابلة للتوضيح فقط بواسطة سياقات مجتمعية واجتماعية شاملة .لم تعد النصوص مهمة فقط بوصفها إنتاجًا منتهيا ...مما يمكن تحليله نحويا أو دلاليا ؛ بل أصبحت تفحص بوصفها عناصر أحداث عامة ، أو أدوات لتحقيق حدس معين للمتكلم من ناحية اتصالية واجتماعية." (٤)

---

(١) ينظر علم النص، أسسه المعرفية وتجلياته النقدية ص ١٤١ د. جميل عبد المجيد حسين ، مجلة عالم الفكر (في الأدب والنقد والبلاغة مج ٣٢-ع٢- أكتوبر ٢٠٠٣م.

(٢) ينظر فاعلية العلاقات النحوية في تداولية النص ص ١٨ . د. إيهاب سعود .

(٣) ينظر المصدر السابق ص ١٩.

(٤) ينظر مدخل إلى علم اللغة النصي ص ٦١ ترجمة فالح بن شبيب العجمي .

لقد وعي القدماء من علمائنا العرب أهمية النحو في بيان المعاني فقال ابن فارس:"من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام ..." (١)

وقال الجرجاني:" واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولاترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبني بعضها على بعض ، وتجعل هذا بسبب تلك ، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس." (٢)

ولقد قالها الدكتور محمد حماسة حديثا حينما صرح بأن " القصيدة بناء فني يحمل من الإشارات الكثير ، ولكن الدليل الذي لا دليل سواه على كل ما يريد الشاعر من قصيدته هو ما يقوله فعلا في القصيدة . وما يقوله هو الكلام المحكوم بعلاقات نحوية معينة أنتجت هذه الدلالات المكثفة." (٣)

وقد لاحظ بعض الباحثين أن لذة النص تتحقق لدى المتلقي بعد تولد عدة أمور هي:

- تنظيم العلاقات اللفظية على مستوى سطح النص.
- تنظيم العلاقات الدلالية على مستوى عالم النص .
- أثر المعنى التبعي (معنى المعنى) في المتلقي وفي إعلامية النص .
- انتظام مستوى العلاقات الإيقاعية أو الصوتية داخل أجزاء /وحدات/ كتل النص." (٤)

---

(١) ينظر الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس ص ٧٤،تحقيق مصطفى الشويمي.

(٢) ينظر دلائل الإعجاز للجرجاني ص ٥٥.

(٣) ينظر اللغة وبناء الشعر ص ٢، الدكتور محمد حماسة.

(٤) ينظر فاعلية العلاقات النحوية في تداولية النص ص ٥٢.

المبحث الثاني

الدراسة التطبيقية على بعض حلقات الدكتور طارق الحبيب في الفضائيات العربية

قليلة هي البرامج التي تظهر بالعربية الفصحى على الفضائيات العربية مقارنة باللهجات المحلية لكل دولة ، وقد جاءت حلقات الدكتور طارق الحبيب في (نفوس مطمئنة – و أسرار –وأبواب النفس) بالعربية الفصحى حرصا عليها رغم تخصصه في الطب النفسي ، فمن طارق الحبيب؟

هو طارق بن على الحبيب ، ولد بمنطقة القصيم في مدينة عنيزة بالمملكة العربية السعودية ، في السادس عشر من شهر أكتوبر عام ست وستين وتسعمائة وألف، كان يعمل والده موظفا يمتاز بالهدوء ، تأثر بشخصيته كثيرا ، كانت مراحله التعليمية الأولى في مسقط رأسه ، ثم انتقل إلى مدينة الرياض حيث درس الطب في جامعة الملك سعود وحصل على بكالوريوس الطب والجراحة في عام واحد وتسعين وتسعمئة وألف ميلادية ، وعين معيدا ثم محاضرا ثم أستاذا فيها ، وواصل دراسته العليا في إيرلندا وبريطانيا ،يشغل حاليا وظيفة الأمين العام لاتحاد الأطباء النفسيين العرب ، ومستشارا علميا بدولة الإمارات العربية المتحدة والرياض ، وهو أستاذ متعاون بكلية الطب بجامعة عين شمس.

له عدة مؤلفات منها:

- نحو نفس مطمئنة.
- علمتني أمي.
- لمحة موجزة عن تاريخ الطب النفسي في بلاد المسلمين.
- كيف تحاور.
- العلاج النفسي والعلاج بالقرآن.
- مفاهيم خاطئة عن الطب النفسي.

- التربية الدينية في المجتمع السعودي .
- الفصام.
- الوسواس القهري.

لـه ثلاثـة برامج (نفوس مطمئنـة وأسـراروأبواب النفس أذيعت فـي عدة محطات فضائية وله لقاءات في عدة برامج في البحرين والإمارات والسعودية وعمان، ولقاءات في أوروبا وأمريكا على اليوتيوب.

النموذج الأول:

حلقة من برنامجه "أبواب النفس" بعنوان "التعامل مع المصائب". الحلقة نشرت بتاريخ ٥/ ٧/ ٢٠١٤م على اليوتيوب .

استفتح بقولـه : " اليـومْ حـديثُنا عـن التعاملِ مـع المصـائبْ ، كثيـرٌ منّـا يمـرُ بمصائبَ مختلفة، السؤالُ يطرحُ نفسه ،هلْ الأزمةُ في المصيبةِ ذاتِها؟ أمْ كيفَ ننظـرَ إليهـا؟ ، تخيـلْ للحيـاة أن بعـض البشـرْ قـد لـبِسَ عدسـةً مقعرةْ وبعضُ الناسِ قد لبِسِ عدسةً محدبةْ فتلكَ تُصغرُ الأشياءْ والأخرى تُكبّرُ الأشياءْ ،أنتَ منْ يختارُ عدستَه في هذه الحياةْ، إدارةُ المصائبْ قد تكونُ من البعدِ الروحي، هنـاكَ فنٌ سنسـافرُ معـه، وهنـاك إدارةُ المصـائبْ مـن البعـدِ النفسـيّ ،سنسـافرُ أيضاً معه، وهناك إدارةِ المصائبْ من البعد الجسديّ ، كيف تتحكمُ بالتغيراتِ الفسيولوجيةْ من خفقانْ القلبِ والتعرقِ والرعشةِ وغيرها"[١].

يمتاز الدكتور طارق الحبيب في كل كلامه باستخدام ما يسمى بـ"بالصوت الصادق" المسمى بالإنجليزية creditable voice الذي " يتحكم صاحبه في السرعة speed واختيار أماكن الوقوف wel'placed pauses "[٢]

(١) تم وضع علامات الإعراب كما نطقها الدكتور طارق الحبيب –لم أغير فيها شيئا –؛ لتوضيح القدرة اللغوية عنده.

(٢) نظر الدلالة الصوتية، ص ٨٢ – دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل د/ كريم زكي حسام الدين ط١ ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م.– ص:

فهو يمتاز بالنغمة الهابطة وما ذلك إلا ليظهر في صورة محتشمة، وقورة؛ ليقنع المتلقي بما يقوله.

الوقوف المتكرر بين الجمل ليبث في روح المتلقي أنه يعي ما يقوله، فلا يقول كلاما عبثا يستهلك به المشاهد، بل عن وعي وبصيرة .فقد وقف بعد ظرف الزمان (اليوم) ثم أكمل بـ"حديثنا" لأن هذه الحلقة من الأهمية بمكان .

والملاحظ أنه استخدم الجمل الاسمية القصيرة ذات جرس موسيقي متساوٍ (البعد الروحي–البعد النفسي – البعد الجسدي) ليؤكد على تساوي الثلاثة في الأهمية لدى الطب النفسي.

اعتماده في أغلب حلقاته على أسلوب الاستفهام في الحوار (هلْ الأزمةُ في المصيبةِ ذاتِها؟ أمْ كيفَ ننظرَ إليها؟)وذلك كنوع من الإثارة يصنعه للمتلقى ليبحث عن إجابة فيجدها عنده.

وقال :" هلْ تأملَ أحدُكمْ مرةً من المراتْ في هذه الآية ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنا**﴾ هلْ المصيبةْ مكتوبةٌ لنا أم علينا ؟ الأمرُ المنطقيّ أن نتخيلَ الآيةْ "قلْ لنْ يُصِيبَنا إلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ علينا". لكنْ لمْ تكنْ الآيةَ كذا ، الطرحُ القرآنيّ دائما طرحٌ إيجابيّ ، لنْ يصيبَنا إلا ما كتبَ الله لنا ، لغةٌ إيجابيةْ، أمرُ المؤمنِ كلُه خيرْ إن أصابته سراءُ شكرْ وإن أصابته ضراءُ صبرْ ، ليست أطروحةً وعظيةً ، سيداتي سادتي ،إنما القضيةْ هي منهجيةٌ نفسيةْ تربى عليها سيدُ البشرْ فربانا على ما تربى عليه في غارِ حراءْ، تلك الصناعةِ النفسيةِ العظيمة المجيدة ."

التنغيم صاعد في "طرح إيجابي" " ليست أطروحة وعظية " " إنما القضية هي منهجية نفسية " . للتركيز على هذه المعاني في ذهن المتلقي أو السامع.

التنغيم الهابط في "تلك الصناعة النفسية العظيمة المجيدة." للإقناع والتأكيد .

السرعة التي امتاز بها هذا المقطع من الحلقة ليوضح معنى من المعاني هو أن المصيبة للمؤمن وليست عليه.

أسلوب الاستفهام "هل المصيبة مكتوبة لنا أم علينا؟" جاء على سبيل الحقيقة ، وهو فعل من أفعال الكلام التوجيهية ، فأراد به أن يوجه فكر المستمع إلى حقيقة إيمانية ربما غابت عن الذهن أن المصيبة في باطنها الرحمة.

استخدم أسلوب القصر في "إنما القضية هي منهجية نفسية" للتأكيد على أن إدارة المصائب هي قضية في المقام الأول نفسية لا دخل لإيمان الفرد فيها، وهومن القوة الحجاجية لدى التداوليين.

كان تسكين أواخر الكلمات ملاحظ في هذا الجزء ولعل لغة الإعلام بأنواعه المختلفة المقروء والمشاهد يتضح فيها هذا التساهل في نطق العربية الفصحى في الإعراب ولعل هذا ما أسماه الدكتور"حسن حامد " باللغة الوسطى بين فصحى التراث والعاميات المختلفة ويرى أنها" أعلى مستوى ، وأرفع مقاما من (لغة الحياة اليومية) أو ما يسمى بلغة رج الشارع أنها لغة عربية فصحى تحافظ على خصائصها ومميزاتها وتراكيبها وصيغها ، ولكنها لغة معاصرة ، هي بنت عصرها بكل ما في هذه المعاصرة من دلالات." [1]

النموذج الثاني:

عنوان الخطبة "**نحو نفس مطمئنة واثقة** " نشرت بتاريخ ٢٢/ ٧/ ٢٠١٧م على اليوتيوب .

"أيها الإخوةُ الأكارمْ، إنَّ اللهَ سبحانهَ وتعالى حِينما خلقَ هذا الإنسانْ خلقَ فيه النفسَ والجسدَ والروحْ ، وما كانَ للنفسِ أنْ تستقرَ إنْ لم تطمئنَ الروحْ وما كانَ لنفسٍ أنْ تستقرَ أيضاً حقيقةَ الاستقرارِ إذا كانَ البدنُ مُعَنىْ بأشياءٍ لا يمكنُ عِلاجُها ولمْ يستطعْ أنْ يتعاملَ معها ذلكَ الإنسانْ .....

أيها الفضلاءْ القمرُ والشمسُ والأرضْ تسيرُ في منظومةٍ متناسقةٍ متناغمةْ أرأيتمْ لو أنَّ القمرَ تقدمَ قليلاً أو أنَّ الشمسَ قدْ تأخرتْ قليلاً أو أنَّ الأرضَ قدْ حادتْ ذاتَ اليمينْ أو ذاتَ الشمالْ فإنَّ هذه المنظومةْ ولا شكَ ستضطربْ،

(١) ينظر لغة الإعلام العربي المعاصر ص١٩: ٢٠ د. حسن على حامد.

كذلكَ الإنسانْ في جسدهِ ، في نفسِه، في روحِه إنْ لمْ تتناسقْ وتتناغمْ هذه مع بعضِها البعضْ فإنَّ هذا الكِيانُ سيضطربْ"

التنغيم الهابط اتسمت به مقدمة الخطبة التي ألقاها بين مجموعة من الدعاة ؛ لإقرار جملة من المفاهيم يسعى إلى علاجها في خفية ومن وراء ستار ألا وهي الرفق في الدعوة إلى الله بأسلوب حكيم ولـيّن وسهل ؛ لأن الإنسان ببساطة هو جسد ونفس وروح وعليه مدار كلامه، حيث شاع في فترة من الفترات استخدام الأسلوب الفظّ بين بعض أفراد هيئة الأمر بالمعروف في المملكة العربية السعودية، ثم أفاد بتنغيمه الهابط إرسال رسالة لمستمعه بالوثوق في المعلومات التي سيلقيها وهذا دأبه في كل أحاديثه.

استخدام الجمل القصيرة ذات الإيقاع المتناسق السريع في :"منظومة متناسقة متناغمة- تتناسق تتناغم – في جسده في نفسه في روحه- تقدمت قليلا – تأخرت قيلا- ذات اليمين – ذات الشمال) فكأنه فارس في ميدان قتال يشعرك بالكر والفر ليصل إلى مبتغاه في إرضاخ مستمعه في الالتزام بما يقوله له.

أسلوب النداء المتكرر وهو من الأفعال الكلامية التوجيهية "أيها الأخوة الأكارم – أيها الفضلاء" وفعله الإنجازي التنبيه، وإنجازه لا يكمن في التنبيه فقط بل في قدرته على استجابة المنادَى للمنادِي في استخدام مفردات معجمية ذات دلالة راقية جاءت بعد أداة النداء "أيها"بـ " الأكارم- الفضلاء" وهو قدرة لغوية عرفتها العربية بعد الإسلام من تهذيب الألفاظ وانتقائها.

استخدام صيغة "معنن" وهو مصدر، على وزن اسم المفعول، وورد في لسان العرب" يقال: عُنَّ الرجل وعُنِّنَ وعُنِنَوأُعْنِنَ فهو عَنِين مَعْنون مُعَنّ مُعَنَّنٌوأَعْنَنْتُ بعُنَّة ما أدري ما هي أي تعرضت لشيء لا أعرفه." (١)

وقال فيها: "صَعدَ عبدُاللهِ بن مسعودٍ –ﷺ– على نخلةٍ،وكانَ دقيقَ الساقين – رحمه الله– فتضاحك الصحابةْ ، ينظرونَ إلى دقةِ ساقيه وهو في أعلى النخلة،

(١) ينظر لسان العرب مادة (عنن) ٤/ ٣١٤٠.

ماذا قالَ النبيُّ ﷺ؟ أتضحكونَ مِنْ دقةِ ساقيه ! إنها أثقلُ في ميزانِ اللهِ منْ جبلِ أُحدْ ، ماذا أرادَ النبيُّ ﷺ ؟ أكانَ إخباراً لنا أنَّ ابنَ مسعودٍ كان تقياً كان مؤمنا ؟ نعمْ ، لكنْ كانَ يُعالجُ في نفسِ ابنِ مسعود شيء، ما كان مريضاً نفسياً–ﷺ– ولكنْ كان يربي ذاتاً عظيمةْ تستطيعُ أنْ تحملَ رايةَ ذلك الدينْ لماذا؟ لأنَّ الركنَ الجسديّ فيه نقصٌ عند ابنِ مسعودْ، فيه ضعف، نحيلٌ، صغيرٌ ذلكَ الصحابيّ فأَخَافَ أنْ تتأثرَ نفسُه تأثرًا ولو كانَ بسيطاً. ماذا فَعلَ النبيُ ﷺ؟ اتجَه إلى نفسِ ابنِ مسعودْ، اتجه إلى روحِه، كأنِّي بابنِ مسعودٍ ينظرُ إلى دقةِ ساقيه إذا جَلسَ وحدَه وينظرُ ويقولْ هذه بجبلِ أحد! لماذا؟ إشباعٌ منه ﷺ لنفوسِ الصحابةْ ...

إنَّ تخولَ النفوسِ بالموعظةْ لكي نُحققَ المرادْ منْ هذه النفسْ لكي نُحققَ الإشباعَ الحقيقيّ لهذه النفسْ أولاً ،تَستقرَ النفسْ حقيقة الاستقرار –الحقيقيّ – إن لم تطمئنْ الروحْ إنَّ عِلاجاتِنا النفسيةْ لنْ تكونَ كافيةْ وحدها لطُمأنينَة ابنْ آدامْ إنْ لـمْ يجتمعْ معها طمأنينةُ الروح ، وحينما أقول طمأنينةُ الروحْ لا أدعوإلى دينٍ سلوكيّ يمارسه بعضُ الأفرادْ إنما أدعو إلى دينٍ بأركانِه الثلاثةْ التي افترضُها تصنيفاً كما أقوله لكمْ ، أدعوا إلى الدينِ بجانبِه السلوكيّ وبجانبِه الانفعاليّ وبجانبِه المعرفيّ ."

نلاحظ في هذا الجزء من الخطبة النغمة عالية، الصوت فيها يمتاز بالسرعة والسلاسة ويسمى بـ" الصوت المقنع persuadable voice"[1] فنجده على سبيل المثال عاليا في "أكان إخبارا لنا أن ابن مسعود كان تقيا كان مؤمنا ؟" وسريعا وسلسا في قوله: "فيه ضعف، نحيل، صغير–أدعوا إلى دين بجانبه السلوكي وبجانبه الانفعالي وبجانبه المعرفي وبجانبه السلوكي".وهذه الصفة الصوتية تساعده على طرق الأدمغة في عملية الإقناع المرادة .

(١) ينظر الدلالة الصوتية ص ٨٢: ٨٣د/ كريم زكي حسام الدين.

استخدامه وزن تفاعل (يتضاحكون) وفيه من القدرة اللغوية التي تشعرك بأن الصحابة كانوا شركاء في عملية السخرية من ابن مسعود ﷺ مما يكمل الصورة الذهنية لدى المستمع فيصبح وكأنه يرى الحدث.

كثرة استخدام (كان) لدلالة التأكيد والتوثيق في (كان دقيق الساقين –كان تقيا –كان مؤمنا–كان يربي–ما كان مريضا).

استخدامه أسلوب الاستفهام بكثرة وهو من الأفعال التوجيهية في نظرية أفعال الكلام، وهو من الاستلزام الحواري في الأساليب الإنشائية في نظرية تداولية الحوار. وسواء كان فعل توجيهي أواستلزامي فإن له قدرة لغوية متنوعة ترتبط بالفكرة التي يريد المتكلم إيصالها إلى المستمع عن طريق اختلاف أدائه النغمي والذي يحدد معناه إذا كان على الحقيقة أو التقرير أو النفي أو التوبيخ، ففي استفهامه: أكان إخبارا لنا أن ابن مسعود كان تقيا كان مؤمنا ؟" فقد أفاد التقرير ؛لذا كان أداؤه هابطا بالنسبة لاستفهامه"فما بالنا نحن؟" أفاد التعجب فأدّاه بنغمة عالية .

استخدامه (لكن) وهو حرف يفيد الاستدراك بأن ما بعدها يخالف ما قبلها ويعده التداوليون من روابط الحجاج .وإتيانه بأسلوب القصر (إنما أدعو إلى دين) الذي يفيد التأكيد ويعد من العوامل الحجاجية التي تزيد من قوة الملفوظ الذي بعدها .

النموذج الثالث:

حلقة من برنامج نفوس مطمئنة بعنوان " القلق النفسي " نشرت بتاريخ ٧/ ٥/ ٢٠١٩م.

قال: "القلقُ النفسيّ مُصطلحٌ يكثرُ استخدامُه كُلَما عَانَ الإنسانُ مِنْ شيءٍ في أمورِ الحياةْ أو ربما توترَ لشيءٍ ما توترَ لقضيةٍ معينةِ عابرةْ ...القلقُ النفسيّ له طريقتينِ في الاستخدامْ ، الطريقةُ العامةُ الدارجةُ عِندَ الناسْ وهي إطلاقُه على كلِ شيءٍ غيرَ معتادٍ ذلكَ الإنسانْ لكنَّ عندنا معاشرَ الأطباءْ القلقُ له تعريفٌ محددْ وله أنواعٌ–كثيرة جدا تلك أ نواع القلق – ولذلكَ لا يوجدُ في الطبِ

النفسيّ الآن ما يسمى مرضَ القلقِ بهذا المصطلحْ القصيرْ إنما له أسماءٌ عديدةْ ، مرضُ القلقِ المُعممْ و تحتَ القلقِ بشكلٍ عامْ–مرضُ القلقِ المُعممْ– يأتي الوسواسُ القهريّ وتأتي المَخاوفْ المُتعددةْ وغيرِها منْ الأمورْ .

إذا الاستخدامُ اللُغويّ أو ما يكتبه كُتّابُ الرواياتِ والأدباءْ وغيرِهم لربما وجدَ رواجًا أكثرَ مما يكتبُه المختصون .....

أعودُ ثانيةً للقلقِ النفسيّ ، هذا القلقْ إما أنْ يظهرَ على شكلِ أعراضٍ جسديةْ أو أعراضٍ نفسيةْ ، حينما يعجزُ أو تعجزُ النفسْ عن تحملِّ ضغطٍ مُعينْ يستأذنْ الجسدْ، ترجو ذلك الجسدْ أن يخدمَها بأنْ يتحملَ شيئاً من القلقِ الذي لاتطيقه ، فيأتي قلقًا أو يأتي قلقٌ بحجمٍ أكبرَ منْ حجمْ النفسْ وتضطُر النفسْ أنها تستوعبَ ما تستطيعُ استيعابُه ، ثم يأتي الجسدُ لخدمةِ تلكَ النفسْ ويتحملَ بعضَ الأعراضْ ، وحينما يتحملُها ، يتحملُها بطريقةٍ مختلفةْ. ما هي تلك الطريقةْ ؟ تَظهرُ على شكلِ مواجعَ في الجسدْ ربما قُولون وربما صُداعٌ توتريّ وربما غيرُه."

تعدُّ هذه الحلقة تعليمية جاءت لتصحح مفهوم نفسي لـ" القلق " عند عامة الناس لذا جاء معدل الصوت (السرعة)في أغلبها ثابت يخلو من التوقف " ونلاحظ أن المعدل المعتاد لسرعة الكلام يعتمد على مدى الطلاقة لدى المتكلم fluency ، وهي صفة تختص باللسان الأداة الرئيسية للكلام والتي سميت اللغة به ، ولهذا نجدهم يقولون يتحدث اللغة بطلاقة ... وتعبر صفة الطلاقة عن الأداء الصوتي الجيد للمتكلم الذي يخلو من الحبسة والتوقف والسرعة والهزج." (١)

بدأ بالجملة الاسمية (القلق النفسي) وهي جملة مركزية تكررت في الحلقة ليفيد ثابت معنى القلق النفسي عند الأطباء النفسيين والمغاير في معناه لدى العامة.

(١) ينظر الدلالة الصوتية ص ٩١: ٩٢د/ كريم زكي حسام الدين.

ثم التدرج المنطقي لأنواعه من الأقل إلى الأعلى خطورة(القلق المعمم– الوسواس القهري –الخوف)

استخدام صيغة الجمع (فواعل) لكلمة (مواجع) وهو وزن للكثرة والفعل (وجع) أصله أن يجمع على أوجاع ، وذكر ابن منظور "ضرب وجيع أي موجع ، وهو أحد ما جاء على فعيل من أفعل." (١)

استخدام (الآن) وهو ظرف زمان مبني وقد أفادة تأكيد محدودية الزمن بالآنية الحاضرة وهو من الإشاريات الزمانية temporal deictics التي جاءت بها نظرية التلفظ في التداولية وأرسى قواعدها "بيرس" .

نماذج مكتوبة :

- نشر عبر التواصل الاجتماعي "تويتر"(٢)

"إدراك الفرد الإيجابي لمعنى الحياة يجعله استثنائيا في حياته ،واستخلاصه لحِكمْ الحياة من التجارب الشخصية وإن كانت تجارب غير ناجحة يحولها لمصادر معلومات ومهارات في الحياة"

نلاحظ سلامة الكتابة لديه هنا، واستخدامه مصدرين (إدراك) و(استخلاص)؛ ليفيد ثبات منطقي بين طرفي علاقة فكرية في العقل لدى الفرد ، فالحياة الإيجابية تقع بينهما، واستخدام روابط حجاجية (اللام– من – واو) مما يزيد من قوة التأكيد على فكرة الإيجابية التي يدعو إليها.

- **وغرد قائلا:**

"يلبس كل منا نظارة شمسية يرى بها الحياة ، لون هذه النظارة إما تجنّبية ، اعتمادية ، قلقة، انطوائية ، حساسة...كلا حسب سماته الشخصية فاعرف سماتك الشخصية لتعرف كيف تتعامل مع ذاتك أولا ثم تتعامل مع الآخرين.

(١) ينظر لسان العرب (وجع) ٦/ ٤٧٧٢.

(٢) نشرت هذه التغريدات على الترتيب في ١٩و٢٨ و٣٠ / ٥/ ٢٠٢٠م .

بـدأ بالفعـل المضـارع الـذي يفيـد اسـتمرارية الـرؤى المختلفـة للحيـاة نظـرا لاختلاف الشخصيات ، الجمل الإسمية والفعلية في الفقرة فيها علاقة تبادلية توزيعية تمنح السياق حيوية .

وفعل الأمر (اعرف) فعل توجيهي (أمر) قوته الإنجازية الفهم والمعرفة .

(ثم) التي أفادت الترتيب المنطقي في تعريف الذات أولا وبعدها تعريف ذات الآخرين.

- **وغرد قائلا :**

" الانفعال السلبي هو حيلة دفاعية لا شعورية يعتمدها البعض للتنصل من المسؤولية ، وهو في ظاهره قوة ولكن في باطنه معنى الضعف والخذلان لذا تدرب كيف تدير انفعلاتك."

الجملة الاسمية (الانفعال السلبي) تثير حافظة القارئ عن البحث في معرفته، ثم جاء التعريف سريعا بجملة أخرى اسمية مطولة تكرر فيها الضمير (هو) وهو رابط حجاجي أفاد التوثيق.

استخدم التقابل في (في ظاهره– في باطنه) و (قوة– ضعف) ليبرز المعنى الذي يريده ويؤكد عليه وهو إدارة الانفعال بالشكل الصحيح.

فعل الأمر (تدرب) فعل توجيهي قوته الإنجازية في الالتزام على التمرين والتدريب في إدارة الانفعال.

الخاتمة

الحمد لله الذي أتمه، وبفضله أنجزته، وبكرمه ختمته ، بحث في القدرة اللغوية والأبعاد التداولية للعربية الفصحى في بعض الفضائيات العربية واتخذت الدكتور طارق الحبيب أستاذ الطب النفسي والتشريح نموذجًا وقد جاء البحث على تمهيد ومبحثين:

التمهيد: وفيه إيضاح معنى "القدرة اللغوية" و" التداولية" لغة واصطلاحا.

المبحث الأول: القدرة اللغوية وعلاقتها باللسانيات التداولية.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية على بعض حلقات الدكتور طارق الحبيب في الفضائيات العربية.

واتخذت المنهج الوصفي التحليلي سبيلا ، وعمدت إلى الإتيان بنموذج تطبيقي لشخص غير متخصص في دراسة اللغة من قريب أو من بعيد ؛ إذ كانت دراسته في الطب النفسي ؛لتكون الفصحى عنده مكتسبة من طبيعة التربية والتنشئة وليس من الدراسة والاطلاع.

وتبين أن القدرة اللغوية لم تضعف كما يظن البعض في تراجع الفصحى على ألسنة الناس ، ولكن إذا أتيحت لها فرصة الظهور فستظهر وبقوة طالما كانت التربية والإعلام يعملان على إظهارها بالشكل الصحيح.وأن التداولية بنظرياتها المختلفة تتوافق مع ما جاءت به العربية وخاصة في دراسة الأسلوب .غير أن التداوليين نظروا إلى ما تنجزه اللغة وفق نظرة مادية منبثقة من فكرهم لعموم الحياة لديهم .

لقد وعى القدماء قدرة العربية ونظروا لقدسيتها ،وجاء مفهومهم لها من ارتباطها بالكتاب العزيز وأنها لغة الحياة ؛ فسبقوا التداوليين ليس في نظرتهم لما تنجزه بل كيف تنجزه .

هذه الكيفية مرتبطة بالحياة التي جاء بها الدين لينظمها ، فاكتملت اللغة بالدين فجاءت في قالب متوافق مع الصورة المادية –في الجانب الشكلي للغة– والمعنوي –في الجانب الدلالي لها–.

وقد وضحت القدرة اللغوية في الجانب الشكلي المتمثل في الصوت والصرف والنحو وتركت الدلالة لبحث آخر حيث الاستفاضة فيه كبيرة تحتاج لبحث مستقل .

قائمة المراجع

١- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الدكتور. محمود أحمد نحلة. دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ٢٠٠٢م.

٢- الأصوات اللغوية والأداء القرآني، الدكتور عيد محمد الطيب ، دار أصداء المجتمع ، بريدة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ

٣- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، دكتور ميشيل زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤- التداولية، جورج يول، ترجمة قصي العتابي ، الدار العربية للعلوم، ناشرون، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٥- الخصائص، صنعه أبي الفتح عثمان ابن جني ، بتحقيق محمد على النجار، المكتبة العلمية

٦- الدلالة الصوتية، دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل ،دكتور كريم زكي حسام الدين ،مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٧- دلائل الإعجاز، تأليف الشيخ الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي- مطبعة مدني

٨- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، لابن فارس ، تحقيق مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٣م.

٩- فاعلية العلاقات النحوية في تداولية النص، دكتور إيهاب سعود، شبكة الألوكة، قسم الكتب.

١٠- قضية البنيوية، دراسة ونماذج ، الدكتور عبد السلام المسدي، دار الجنوب لنشر، تونس ١٩٩٥م.

١١- لسان العرب لابن منظور، دار المعارف ، القاهرة ، تولى تحقيقه أ/ عبدالله على الكبيوأ/ محمد أحمد حسب الله، أ/ هاشم محمد الشاذلي.
١٢- اللسان والإنسان ،مدخل إلى معرفة اللغة، الدكتور حسن ظاظا ، دار القلم دمشق ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م
١٣- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية ،الأمل للطباعة والنشر والاوزيع ، تيزي وزو ، الجزائر ، ٢٠١٢م.
١٤- لغة الإعلام العربي المعاصر ، دكتور حسن على حامد ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
١٥- اللغة وبناء الشعر ، دكتور محمد حماسة ، مكتبة الزهراء ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٩٢م.
١٦- المدارس اللسانية المعاصرة ، دكتور نعمان أبو قره ، مكتبة الآداب القاهرة ٢٠٠٣م
١٧- مدخل إلى علم اللغة النصي ، ترجمة فالح بن شبيب العجمي ، جامعة الملك سعود ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
١٨- معجم علوم العربية تخصص شمولية أعلام للدكتور محمد التونجي ، دار الجيل ،بيروت ،لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٩- المعجم المفصل في فقه اللغة ، تأليف الدكتور مشتاق عباس معن ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .
٢٠- المعجم المفصل في اللغة والأدب ، تأليف الدكتور إميل بديع يعقوب ، والدكتور ميشال عاصي ، دار العلم للملايين ، بروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
٢١- مناهج البحث في اللغة ، الدكتور تمام حسان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

الأبحاث العلمية:

١- أسباب تفوق لغة الضاد على اللغات الحية في الدقة التعبيرية ووفرة المعلومات في التعريف بجنسي الذكر والأنثى ،محمود الذوادي ، بحث منشور في مجلة التعريب الصادرة عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق العدد الرابع ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٢- الحركة وأهميتها في دلالة البنية الصرفية ، دراسة على وفق الاستعمال اللغوي، خديجة زياد الحمداني، مجلة جامعة كركوك، عدد خاص بمؤتمر كلية التربية ٢٠١٢م.

٣- علم النص، أسسه وتجلياته النقدية ، دكتور جميل عبد المجيد حسين، مجلة عالم الفكر، مجلد ٣٢، العدد الثاني أكتوبر ٢٠٠٣م

٤- المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص مرحلة التعليم الثانوي، جامعة القسنطينة ٢٠٠٤-٢٠٠٥م نشر على archives.umc.edu.dz